يا سيدة البحار (١)

(جاءت الاخبار التلغرافية منبئة بان الحكومة الالمانية مسؤولة عما اصاب الباخرة لوزيتانيا والذين كانوا فيها لان شركة كنرد صاحبتها قبعثت الينا الآنسة النابغة ماري زيادة (مي) بالتأبين التالي وكانت قد كتبته يوم اغراقها سنة ١٩١٥ ثم وعدت بان تشفعه بتأبين الاسطول الالماني العظيم)

أسمعت ما طيرته عنك البروق وما قالته فيك الانباء ؟ لوزيتانيا ! أبلغك ما بلغنا وتعرفت ما يكتبون ؟

قولي ! هل تعرّدت رواح الكهرباء في الفضاء وثارت قوات العناصر في أعماق السماء ، أم هجمت أسدُ البحر على الاسلاك الممدودة تحت الماء طالبةً من معارف البشر لداءٍ خفيّ شافي الدواء ؟

قولي ! أسمعت بما أذاعته عنك الانباء ؟

لوزيتانيا ، أجيبي ! أنت التي خضعت لها رقاب الامواج اعواماً ، ولثمت المياه قدمها شهوراً واياماً ، أنت التي ذاب لحرّ أنفاسها جليد البحار القاصيات ، وابتسمت لقدومها شموس السواحل الدانيات ، أيتها الطائرة بهيجان العواصف وثورات اللجج وغضب البراكين ، يا صلة العمران النبيلة بين العالمين ، لوزيتانيا !

يقال انك غارقة ، يا ذات الدلال السائر ، ويذاع انك هابطة ، يا قاهرة العنصر القاهر . أصحيحٌ ما يقولون وما هم مذيعون ؟ أتقمين صريعة نيران الجبار العنيد ؟ أتتضاءل منك القوى ازاء بطشه فيذوب منك حتى صلب الحديد ؟

أنت التي قطعت المسافات الشاسعات بسالة باسمة ، وملأت وحشة البحار الواسعات بزفرات الحياة وأصواتها ، أنت الآملة بكل شيء لانك يائسة من كل شيء ، أيتها المرأة المتسمرة ، كيف لم تحبي على صواعق الانسان بصواعقك المنتقمة ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا !

ألا تذكرين يوم غادرت العالم الجديد تحملين للاجسام نعاماً وتنقلين للنفوس

(١) بنيت الوزيتانيا لشركة كنرد البريطانية سنة ١٩٠٧ بمدينة غلاسكو من الصلب (الفولاذ) وكان طولها ٧٩٢ قدماً وعرضها ٨٧ قدماً وعلوها ٥٦ قدماً وحمولتها ٤٢ الف طن وسرعتها ٢٦ ميلاً بحرياً في الساعة وقوة آلاتها البخارية سبعون الف حصان

غذاء ، وتمثال الحرية يحييك بقبسه المحيي ويتمنى لك سفراً سعيداً ؟ يوم شيعتك أنظارٌ وقلوبٌ وقد أودعتك أموالاً واسراراً وارواحاً غاليات ، ألا تذكرين ؟ كيف لم تصوني وديعتك سائرة بها الى مرفإ الامان سالمة ؟ كيف لم تحرصي على ما ضممت الى قلبك ، أيتها العاشقة الصامتة ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا ! لقد ذقت رعشة الموت ، يا ضحية الحياة ! وعرفت طعم الابدية ، يا اثر الفكر الزمني !

في احضان المياه الدامسة حيثُ لا شموس ولا كواكب ولا اقمار ، حيث يتموّج في الهاوية من العناصر الاسوداد والاخضرار . حيث لا يركز سوى دمدمة العواصف الهائجة على صفحة الماء ، ولا صوت غير صدى الصواعق المنبثقة من جبين الأفق على وجنة الغبراء ، حيث تمرُّ افكار البشر على الاسلاك البحرية صامتة ، حيث لا كلام ، ولا انين ، ولا نواح ، ولا انشاد ،

في احضان المياه الغُدافية ، في الهاوية المرعبة ، هناك تندثرين ،

تندثرين في كهوف نبتون (١) السائلة ، وفيها تقطنين ،

هناك تضمين اليكِ وديعتكِ التي لم تستطيعي صيانتها في الحياة فتكونين في الردى لها من الصائنين

هل من دمعة تصل اليكِ مخترقةً مياه البحار ؟ هل من قبلة تهبطُ نحوكِ مداعبةً ما لديكِ من الاسرار ؟ لكن قد كفنتك السكوتُ الدائم والجمودَ المتحرّك الذي لا قبلات لديهِ ، ولا دعابة ولا عبرات ؟

لوزيتانيا ! لوزيتانيا !

سوف ينتقم لكِ البشر من البشر ، سوف يقيم التاريخُ لكِ ولاخواتكِ هياكل تحيين فيها كالاهات ، سوف تنظمُ لكِ الاناشيد وتعزفُ لذكركِ طروبُ الآلاتُ ،

لوزيتانيا ؟ لوزيتانيا !

واذا سئلت في اعماق الهاوية عن الانسان الذي أبدعكِ واستخدمكِ قولي ان مقاصدهُ شريفة وآمالهُ عظيمة ، قولي انهُ أحبكِ وبكاكِ . واذا سألتكِ ارواح العناصر مذهولةً : اذاً كيف فتكَ بك ؟ أجيبي ان الذي قضى عليكِ ليس التحالف الملقب بالانساني ، بل الجبّار المتعوت بالجرماني

(مي)

(١) نبتون هو اله البحر في ميثولوجية الاقدمين